

الرواية الفلسطينية تجاوزت حدود التوثيق إلى الفكر والجماليات

رام الله - يخوض الفلسطيني حرب استعادة الذاكرة، واسترداد تاريخه التليد، فكان الملاذ في الأدب كحصن آمن للحفاظ على الهوية، وكانت الرواية أكثر الفنون رسدا لهذه الإشكالية الصراعية، فجعلت من فاجعة النكبة أحد المراكز الأساسية لها، وهو ما جعل الرواية بمثابة ذاكرة بديلة أو جغرافيا بديلة تحفظ الهويات من الاندثار، وأيضا تفصح "الهويات القتالة" إذا استعرتنا عنوان أمين معلوف.

ويحدد بشير أبومنة، عبر دراسته "مد الثورة الفلسطينية وجزرها"، الروابط بين الجماليات والسياسة في الرواية الفلسطينية، والتي تجمع بين التحليل التاريخي والقراءة النصية لبعض أهم أدباء الرواية الفلسطينية مثل جبرا إبراهيم جبرا وغسان كنفاني وإميل حبيبي وسحر خليفة، للكشف عن رواية فلسطينية تدعو إلى نظرة إنسانية، وإلى التضحية بالنفس، سبيلا للخلاص الجماعي والمصلحة المشتركة وتحقيق الذات.

الرواية الفلسطينية تطورت في السنوات اللاحقة لتقدم خطابا مختلفا يتجاوز السياسي إلى الجمالي والفكري والتساؤل

ويبين الباحث أنه بعد المقاومة والإمال والفرص السياسية نرى اليوم التحلل الجماعي والفردى الذي يحتاج إلى خطاب روائي مختلف لمقارنته.

الخطاب الروائي الفلسطيني يقوم، عادة، على أساس التناقض بين "ما كان" في الوطن، و"ما هو كائن" من حقيقة معيشية في المنفى و"ما سيكون" عندما يتحقق حلم العودة، لكنه يتجاوز ذلك إلى كشف قضايا أخرى خاصة ما يتعلق بالهوية وباجيال من الفلسطينيين الذين ولدوا وعاشوا في الشتات، ويحتاجون إلى نص مختلف عما كان سائدا في القرن العشرين، نص يعيد تقييم المسار ويحيى الهوية الأخذة في التاكل.

وتتطرق الدراسة إلى جان جينيه وإلياس خوري وأعمالهما الأدبية التي لا تضاهي، والمكرسة للثورة الفلسطينية. كما تسلط الضوء، عبر تحليلها الأدبي للرواية الفلسطينية وتطبيق نظريات جورج لوكتاش وتيودور أدورنو وأدب ما بعد الاستعمار، على قضايا النضال والكفاح وتقرير المصير.

وتذكر أن هذه الدراسة صدرت، أول ما صدرت، باللغة الإنجليزية سنة 2016 وكانت الأولى من نوعها في تلك اللغة. وهي تهدف إلى رسم خارطة تطور الرواية الفلسطينية في المنفى وتحت الاحتلال، من سنة 1948 حتى أوسلو. وقد صدرت حديثا عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية بترجمة مصعب حياتي.

ويشغل بشير أبومنة منصب محاضر في أدب ما بعد الاستعمار ومدير مركز الدراسات الاستعمارية وما بعد الاستعمارية في جامعة كنت في بريطانيا.



الفلسطينيون لهم روايات أخرى

المعلقات العشر قصائد تشبه الوثائق

أشهر عشر قصائد قبل الإسلام في مجلد بالعربية والإنجليزية



الشعر وثيقة تاريخية وجمالية (لوحه للفنان ساسان نصرانية)

هذا الجزء وحدة موسوعية لغوية وثقافية عن الناقة وأعضائها، وصفاتها المستحسنة عند العرب". واستندت الناقاة الأسطورية بهذه المساحة بسبب الحالة النفسية لشاعر شاب متمرد حاصره الخذلان، وكانت ناقته "طوق نجاة". تحولت إلى معادل موضوعي لكل رغبات طرفة غير المحققة، وأماله العريضة في الحياة المخيطة التي أراد أن يحيها". والبيت الثاني في معلقة طرفة "وقفا بها صحبي علي مطيهم/ يقولون: لا تهلِك أسي وتجلد" يتطابق مع البيت الخامس في معلقة امرئ القيس، باستثناء كلمة القافية "وتجمل". تضمين؛ إغارة؛

البيت الحادي والثلاثون، في معلقة طرفة، يوثق وعي الشاعر الشاب بمحيطه الجغرافي والحضاري، في وصفه للناقاة بقول "وخذ قرقطاس الشامي ومِسْفَر/ كسبت اليماني قده لم يُحْرَد". يشبه خذ الناقاة بصحيفة بيضاء يحملها رجل من الشام، "حيث يكثر النصارى المعتنون في ذلك العهد بالكتب والأوراق".

طرفة من شعراء استغنائيين استعشروا قرب النهاية، وكانت حياتهم شها. ففي صولاته واندفاعه في المعركة رأى موته قريبا، فإصغى ابنة أخيه "معبد" بما يجب أن تذكره من مناقبه في نعيه.

وفلسفة الزمن عنده أن الحياة كنز يتقص بمضي الأيام: أرى العيش كنزا ناقصا كل ليلة/ وما تنقص الأيام والدرهم ينقد. وبقيت من معلقته إلى اليوم ماثورات: فإن كنت لا تستملك دفع مني/ فدعني أبادرها بما ملك يدي. وكذلك: وظلم نوي القربى أشد مضاضة/ على المرء من ظلم الحسام المهتد. وينتهي المعلقة بحكمة شيخ لم تتح له الأيام أن يكونه: سندي لك الأيام ما كنت جاهلا/ ويأتيك بالأخبار من لم تزود.

وفي معلقة زهير بن أبي سلمى التي حملت عنوان "أنشودة السلام" خلاصة تجربة حكيم بلغ الثمانين، "ومن يعيش ثمانين حولا لا أنا لك بسام". ويقول إن ما يكتمه الناس في أنفسهم يعلمه الله، فيعجل النعمة، أو يؤخرهم "ليوم الحساب"، ومن الحكم أيضا: ومن هاب أسباب المنايا ينلها/ ولو رام أسباب السماء سلم. وفي مقابل "أنشودة السلام"، تنهض غطرسة عمرو بن كلثوم في معلقته وعنوانها "التباهي وأسئلة الحرية"، بادئا بفعل أمر: "الاهني؛ فتدور كؤوس الخمر، في استعراض للقوة والاستعلاء القبلي، أمام الملك المستبد عمرو بن هند. ويتردد فيها ضمير المتكلم بصيغة الجمع "وأنا" المشاريون الماء صفوا/ ويشرب غيرنا بحاسن ناقته، "حتى يمكن أن يعد

وضع الكتاب عنوانا للمعلقات، فالمعلقة الأولى حملت عنوان "مغامرات الهوى والشباب" لامرئ القيس المصنف من الطبقة الأولى من شعراء العرب، وهو مثال لبطل تراجيدي تقلب حياته حادثة، هي مصرع أبيه، فترك الأمير رغد العيش، وسعى إلى الشار لأبيه الملك، إلى أن مات في أنقرة بعد لقائه بقبصة الروم، إذ ذهب إليه ليعينه على استعادة ملكه، ولهذا حمل لقب "الملك الضليل".

كنوز شعرية

تبدأ المعلقة بدعوة الشاعر لصاحبيه إلى الوقوف على أطلال أحبة غادروا المكان، "قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل". ثم يترصد الشاعر لبنت عمه "عنيزة" ورفضها لشدى مروهن بالغدير، ونجح شغبه معهن في تأخيرهن عن اللحاق بركب العشيرة، ونحر ناقته لإطعامهن.

التقليد الفني في استهلال القصائد بالوقوف على الأطلال استنّه امرؤ القيس. وتستخدم معلقته تجدها من عنايته بالتصوير البانورامي لمسرح الأحداث، من المعالم الجغرافية وظواهر الطبيعة إلى التفاصيل الصغيرة في المشهد، وهو في القلب منه، واصفا ضعفه ودومعه أيام الترف والهوى، ومجترنا على التصوير الحسي لغامرته العاطفية، بعد نحر ناقته، وذهاب الركب، عذبة. "ولما دخلت الخدر خدر عنيزة/ فقالت: لك الويلات إنك مرجلي. تقول وقد مال الغبيط بنا معا/ عقرت بعيري يا امرأ القيس فأنزل". ولكنه أصر على البقاء غير مجال بقلقه على العبير، وتباهى بجنسيتها التي تجعل النساء شغوفات به، لا يشغلن حمل ولا رضاعة.

انتقل "الغبيط" من الجزيرة العربية إلى مصر، من الصحارى إلى الأرض الخصبة، وصار جزءا من قاموس الزراعة. كان لدى امرئ القيس يعني الهودج الذي يسعه مع عنيزة، وتحولت دلالة إلى وعاء من خيش أو قماش مقوى ذي عدلين، يوضع فيه السماد أو التراب، وتحمله الدابة، وفي مقابل مشهدية حسية تفن فيها امرؤ القيس بجسد المرأة، أفرط طرفة بن العبد في وصف ناقته، في معلقته التي يستهلها بقوله "لخولة أطلال ببرقة تهمد". وحملت المعلقة في هذا الكتاب عنوان "التمرد وفلسفة الحياة والموت"، إذ قتل الشاعر شابا يأمر من ملك الحيرة. ورغم الوفاة المبكرة، يراه البعض تاليا في المكانة الشعرية لامرئ القيس.

قصيدة طرفة هي أطول المعلقات العشر، ويتضمن نصها المعتمد 105 أبيات، منها واحد وثلاثون بيتا للتعني بحاسن ناقته، "حتى يمكن أن يعد

قرون طويلة مرت على الشعر العربي منذ نشأته، تعاقب خلالها شعراء كثر على تصد هذا الفن المجد عربيا، ولكن قصائد المعلقات الشعرية ظلت خالدة إلى اليوم، ولم يزحها عن الذاكرة أي شعر جاء من بعدها، وهو ما يدعو إلى العودة إليها دائما ونشرها إلى قراء اللغات الأخرى ككنوز ثقافية عربية.

لترجيح كلمة هنا أو حركة إعرابية هناك، كما قال حاتم الزهراني المشرف على المحتوى إن اللغتين العربية والإنجليزية تقاسمتا "بهجة تأويل هذه النصوص الخالدة"، على أيدي أربعة شراح، وأربعة مترجمين هم: ديفيد لارسن بجامعة نيويورك، سوزان بينكني ستينكفيتش بجامعة جورجتاون، كفين بلانكشتاين بجامعة بريغام يونغ، هدى فخر الدين بجامعة بنسلفانيا. وإن هذه الترجمات "الجديدة بالكامل" وفرت سياقيا يناسب القارئ بالإنجليزية.

شرح المعلقات باللغة العربية كل من: سامي العجلان، وصالح الزهراني، وعبدالله الرشيد وعدي الحريش. وعرفت المقدمات حياة الشعراء ومنزلتهم، وألقت أضواء على الأماكن والأشخاص الواردة بالمعلقات، وفسرت سياق بيئتها وتاريخها بعد أن صارت نضا إنسانيا.

وأطلق على المعلقة هذا الاسم، لإصطفائها ضمن عيون الشعر قبل الإسلام، وتعليقها على أستاذ الكعبة، وقد صمدت في اختبار الزمن، حتى صدورها ضمن مشروع أشرف عليه بنسر الحربي رئيس تحرير مجلة القافلة، وضمت اللجنة الاستشارية كلا من سعد البازعي الأستاذ بجامعة الملك سعود، ومينيرة الغدير الأستاذة الزائرة بجامعة هارفارد وكولومبيا، وروجر آلن أستاذ الأدب العربي بجامعة بنسلفانيا، وبياتريس غرونديل أستاذة الأدب العربي بجامعة برلين الحرة.



الكتاب يحيي أشهر عشر قصائد قبل الإسلام، ويقدم للقارئ بالعربية والإنجليزية مقدمات وشرحا مبسرا



سعد القرش
روائي مصري

صدرت هذه الطبعة، غير التقليدية وعنوانها "المعلقات لجبل الألفية"، يعيد المعلقة إلى وجهة الإبداع الشعري، ويرسخ مقولة "الشعر ديوان العرب"، باعتباره ذخيرة لغوية تمثل سجلا حيويا، للحروب والعادات والمعالم الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية والعاطفية والصراع العنصري والتفاوت الطبقي والتمرد.

نصوص خالدة

هذه النصوص التي أنتجت قبل أكثر من خمسة عشر قرنا لا تزال نابضة بالحياة، بفضل الغنى الكامن في اللغة، وطاقة الألفاظ على التجدد وحفظ المدلولات، حتى أن امرأ القيس في معلقته التي بدأها بقوله "قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل" أورد لفظ "الغبيط"، ومن تلك البداية سرى معناها، وعبر القرون وبلغ الريف المصري، وإن بدأ "الغبيط" في الاختفاء، ليصير من ضحايا التحديث.

أصدر "المعلقات لجبل الألفية" مركز الملك عبدالعزيز الثقافي العالمي (إثراء) بالتعاون مع مجلة "القافلة" الصادرة عن أرامكو السعودية. في مجلد بالعربية والإنجليزية، (489 صفحة)، يضم المعلقات العشر لامرئ القيس، وطرفة بن العبد، وزهير بن أبي سلمى، ولبيد بن ربيعة، وعمرو بن كلثوم، وعنترة بن شداد، والحارث بن حلزة، والأعشى القيسي، والناطقة الذبياني، وعبيد بن الأبرص.

وفي مقدمة عنوانها "المعلقات في حضورها الدائم" قال محمد أمين أبوالمكارم نائب رئيس تحرير مجلة القافلة إن المعلقات العشر خالدة، تعبر زمانها إلينا، "تشكل قاموسا للغة العربية وديوانا للشعر، ومصدرا لثمة لا تنتهي لأولئك المغتربين ببلاغة الفن اللفظي الرفيع.. وثيقة للمؤرخين وعلماء الاجتماع، ودليل للجغرافيين".

يحيي الكتاب أشهر عشر قصائد قبل الإسلام، ويقدم للقارئ بالعربية والإنجليزية التي ترجمت إليها المعلقات ومقدماتها، بواسطة "فريق من الخبراء العالميين في الشعر العربي.. وفي بعض الأحيان، تبدأ عملية من المفاوضات التاويلية بين الشارح والمترجم والمراجع